

بحث جديد في الجغرافيا التاريخية للتوراة

د. كمال الصليبي، التوراة جاءت من جزيرة العرب (ترجمة: فؤاد الرزاق)، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة العربية الثانية، ١٩٨٦، ٢٣٦ صفحة.

ذبح يصدر كتاب مختلف، مقدمة الناشر أو المؤلف أو كتابها مما اعتدنا على مطالعته قبل الغوص في مادة كتاب، لم تحل مكانها التقليدية وتؤدي وظيفتها المعتادة في التمهيد لمادة البحث التي ينص عليها المؤلف الذي بين أيدينا فالدكتور كمال الصليبي، وهو أحد أساتذة دائرة التاريخ والآثار في الجامعة الأميركية في بيروت، طرح في مقدمته التي لا تتجاوز تسع صفحات، مجموع استنتاجات البحث وما استخلصه من مقولات ونظريات دفعة واحدة، بدلاً من أن يقودنا، عبر مذاهاج بحثه ووساياته المعرفية، إلى هذه الاستنتاجات والنظريات، وحتى مجرد اختيار عنوان الكتاب، التوراة جاءت من جزيرة العرب، جاء بمثابة فرضية، تطرح عملية مناقشتها صدمة كبيرة لمجموع قناعائنا، السابقة، التي وصلتنا كدخلة لتداول عالمي لها، استمر آلاف السنين.

نحن، إذًا، أمام صدمة، تدفعنا إلى ملاحظة كل البراهين التي عمل المؤلف على تقديمها عبر ٢٣٦ صفحة متوسطة الحجم، قسمت إلى ١٧ فصلاً وملحقاً، تسعى بدون كلل لإثبات نظرية الكتاب، تلك النظرية التي «سقطت» بين يدي الصليبي، مثلما اسقطت الصدفة وحدها «تفاحة نيوتن»، فحملته إلى البحث عن السر في الجاذبية الأرضية التي لم يكن سمع بها من قبل رغم وجودها الموضوعي.

كان د. الصليبي يحضي بعض الوقت في شبه الجزيرة العربية بغرض البحث عن أسماء الامكنة ذات الأصول غير العربية، (ص ٢٧)، حين وجد «أرض التوراة كلها هناك» وذلك في منطقة بطول يصل إلى حوالي ٦٠٠ كيلومتر، ويعرض يبلغ حوالي ٢٠٠ كيلومتر، وتشمل ما هو اليوم، عسير والجزء الجنوبي من الحجاز، (الصفحة نفسها). وكان أول ما تنبه اليه د. الصليبي، هو أن في هذه المنطقة، أسماء امكنة كثيرة، تشبه الامكنة المذكورة في التوراة. وسرعان ما تبين [له] أن جميع الامكنة التوراتية، العائقة في [تهنه]، أو جلها، ما زال موجوداً في تلك المنطقة. وتبين [له] أيضاً، أن الخريطة التي تستخلص من نصوص التوراة في اصلها العبري، سواء من ناحية اسماء الاماكن، أو من ناحية القرائن أو الاحداثيات، تتطابق، تماماً، مع خريطة هذه الارض، وهي حقيقة ذات اهمية أولية، نظراً لأنه لم يثبت، اطلاقاً، تطابق الخريطة الموصوفة في التوراة، مع خريطة الارض - بين النيل والفرات - التي اعتبرت حتى اليوم انها بلاد التوراة، (الصفحة نفسها).

وبناء عليه، وضع الباحث افتراضين بناهما على استنتاجاته الرئيسية من الحقيفة الاولى التي توصل اليها.

الاول: ويقول بان البيئة التاريخية للتوراة لم تكن في فلسطين، بل في غرب شبه الجزيرة العربية، بعداذاة البحر الاحمر، وتحديدأ في بلاد السراة، بين الطائف ومشارف اليمن (من مقدمة المؤلف، ص ١١).

الثاني: ويستند الى الافتراض الاول ويرتبط به ارتباطاً وثيقاً، ويقيد بأن مملكة اسرائيل التاريخية لم تقع في فلسطين، وانما قامت في شبه الجزيرة العربية، وان بني اسرائيل هم من شعوب العرب البائدة، أي من شعوب الجاهلية الاولى. وقد نشأت الديانة اليهودية بين قهقرانهم، ثم انتشرت من موطنها الأصلي، ومنذ وقت مبكر، إلى العراق والشام ومصر، وغيرها من بلاد العالم القديم، (الصفحة نفسها)، وهذا يقودنا إلى خلاصة مؤداها ان يهود التوراة من بني اسرائيل، انقرضوا، ولا حق لليهود اليوم في فلسطين، [فهم]